

## الميادين التي طرقتها الجغرافية العربية الاسلامية

الجغرافية الوصفية : ان كتب الجغرافية الوصفية العربية كانت تخضع عموما " لنمط الكتابة العربية الذي ساد مختلف حقول المعرفة في ذلك العهد ، فلم يكن التخصص مثلا " مفروما " بالمعنى الحديث ، لذلك كان الجغرافيون مؤرخين أيضا " في أغلب الأحوال . كما أن البعض منهم كتب في حقول علمية متعددة اخرى ، ان اهداف الكتابة الجغرافية الوصفية كانت موجهة لخدمة أغراض الاداريين والحكام والتجار بالدرجة الأولى . ولم تكن تلك الأهداف تتطلب الدراسة العميقة ويمكن القول تفصيلات الكتب الجغرافية الوصفية كانت تغطي النقاط التالية : ١ . وصف المدن وصيفا " دقيقا " مفصلا " قدر الإمكان مع نبذة عن تاريخها ومن بناها ومن سكنها واهم الآثار فيها . ٢ . دراسة طرق المواصلات من حيث اتجاهاتها وطوبوغرافيتها والمدن التي تقع عليها والأبعاد بين تلك المدن ومدى درجة الأمن فيها . ٣ . الاهتمام بدرجة اقل بوصف الظواهر الطوبوغرافية والتركيز بصورة خاصة على مجاري المياه . ٤ . الاهتمام بدرجة اقل بدراسة الاحوال الاقتصادية ( الزراعية والصناعية والتجارية ) . 5 . سرد المعلومات التاريخية المتعلقة بالبلدان والمدن وحكامها ، وتشمل ذكر مكان البلاد وادي نهم وعاداتهم وتقاليدهم . ان هذه الأغراض التي اشتملت عليها مؤلفات الجغرافية الوصفية وهي كما يتضح يتركز على الجوانب البشرية أكثر من تركيزها على الجوانب الطبيعية وقد حفظت لنا من المعلومات المتنوعة عن بلدان العالم القديم ما لم يكن في الامكان معرفته في الوقت الحاضر لولا عناية اولئك المؤلفين وبطبيعة الحال فلم يكن اهتمامات كتب الجغرافية العربية في تركيزها على النقاط المشار اليها أعلاه متماثلة ، فمنها ما أكد على النقطة الأولى ، ومنها ما شدد على الثانية ومنها ما ركز على النقطة الخامسة الا انها جميعا اضعف اهتماما " بالنقطة الرابعة .

ان اهتمامات المؤلفات الجغرافية الوصفية المبكرة كانت بطرق المواصلات وبالمدن و الرئيسية في أقطار الإسلام ، ويتمثل ذلك بالكتب الرائدة من امثال ( المسالك والممالك ) لابن خردادبه ر ( كتاب الخراج

وصنعة الكتابة لقدامه ابن جعفر ثم تنوعت اهتمامات الجغرافيين منذ منتصف القرن الرابع الهجري واول القرن الخامس بمختلف النقاط المذكورة اعلاه . والواقع أن كتاب الجغرافية الوصفية قد تنوعته أنماطها بمرور الزمن ، فقد ظهرت لأول مرة على شكل اهتمام باسماء الاقطار والمدن وما يربط بينها من طرق المواصلات كما في كتاب المسالك والممالك ) لأبن خردادبه ، و ثم تطورت الى اهتمام بدراسة الجوانب المختلفة في انطار العالم الإسلامي من مدن وطرق مواصلات وعالم طبيعية والاحول الاقتصادية ، كما في الكتب المعنونة ب ( صورة الأرض ) لابن حوقل و ( احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ) للمقدسي ، ثم انتقلت الى التركيز على مدن او اقطار معينة ودراستها بصورة تفصيلية كما في ( كتاب الهند ) للبيروني ، و ثم اخذت تعني بالدراسة العامة الشاملة بما في ذلك الممالك الإسلامية و غيرها كما في ( نزهة المشتاق في اختراق الافاق ) للادريسي و ( كتاب الجغرافيا ) لابن سعيد . وبطبيعة الحال فقد تنوعت اساليب ومناهج تلك المؤلفات ، حسب تنوع اغراضها . فكتب الموسوعات مثلا " وبضمنها كتب المسعودي والتي لا تنتمي الى نفس الفترة الزمنية كانت تشتمل على معلومات جغرافية وصفية عادة لا يحكمها ضابط معين ، بينما كتب المعاجم فقد اشتملت بدورها على تفصيلات عن المدن والمعالم الطبيعية مع اهتمام شديد بالاحداث التاريخية . واهتمت الكتب التفصيلية التي درست بلداً " معينة " أو مدينة معينة بالتفصيلات البشرية ، واما الكتب الكوزموغرافية فقد اهتمت اهتماما خاصا " بالعجائب التي خرجت بها في كثير من الأحوال عن نطاق العلم الى محيط الخرافة ولا سيما كتب القزويني . أن وصف البلدان الذي يتولى عموما " مهمة التعريف بالعالم هو من ابرز وظائف الجغرافي ، ذلك أن هذا الوصف يؤدي في النهاية إلى الكشف عن العلاقة بين الانسان والأرض ، وقد اشتملت كتب الجغرافية العربية الوصفية على مادة غزيرة عن بلدان العالم القديم ذات جوانب متعددة فضلا عن المعرفة الجغرافية البحتة بمناطق متسعة من الأرض كجهات غربي و او اواسط افريقيا ، و اواسط آسيا والهند الصينية والهند وجزر المحيط الهادي وبعض جهات سيبيريا فقد امدتنا بمعلومات عن شعوب تلك الجهات وطريقة حياتها واستغلالها البيئية مما يمكن أن يكون ذو فائدة عظيمة . ويجدر بالذكر أن الجغرافية الوصفية

الجغرافيين العرب قد اتبعوا منذ البداية الأسلوب الصحيح في كتابة الجغرافية الوصفية وهو أسلوب المشاهدة و الملاحظة الميدانية . والواقع أن كبار الجغرافيين العرب كانوا من الجواليني فضلا عن الرحالة العظام الآخرين كابن جبير وابن بطوطة وقد زار معظمهم البلدان التي كتبوا عنها ، ولاسيما الجغرافيين المبكرين منهم من أمثال اليعقوبي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي والمسعودي والإدريسي . وهكذا اتاحت الفرصة لهم ليبدونوا لنا اديا " جغرافيا " غزيرة عن جهات العالم القديم . وقد تفوقوا في معلوماتهم عن القارات القديمة الثلاث ( اسيا واوروبا وافريقيا ) على من سبقهم من كتاب الإغريق والرومان . :

### الجغرافية الفلكية والرياضية :

ان الجغرافيين العرب قد تأثروا في آرائهم عن الأرض بالآراء الإغريقية والرومانية ولاسيما بآراء ارسطوا وبطليموس . وكانت الفكرة السائدة عن الأرض لدى العرب انها مسطحة ، ولعل تلك الفكرة ثمرة للآفكار التقليدية المتوارثة عن الأجداد . غير أن الجغرافيين والفلكيين العرب سرعان ما ثبتوا تلك الفكرة منذ شاعت بينهم آراء ارسطو وبطليموس وآمنوا جميعا " بكروية الأرض ، وظهر تأثرهم بالآراء الإغريقية كذلك في اعتقادهم بان الأرض تحتل مركز الكون وانها محاطة بالبحار . ويمكن القول ان آراءهم عن الأرض باتت تحكمها ثلاث فرضيات الاولى انها مدورة والثانية انها ثابتة في مركز الكون والثالثة انها محاطة بالبحار . وقد اعتاد معظم الجغرافيين العرب أن يصدروا مؤلفاتهم بتلك الفرضيات الثلاث ومثال ذلك ما ذكره ابن خردادبه في كتابه ( المسالك والممالك ) ، اما ما يتعلق بحركة الأرض فقد مال الجغرافيون العرب الى الأخذ بفرضية العلماء الإغريق وهي سكون الأرض وبطبيعة الحال فقد فسروا ظاهرتي الليل والنهار

والفصول الأربعة الى حركة الشمس حول الأرض . وبالرغم من اجماع الجغرافيين والفلكيين العرب على ثبات الأرض وعدم حركتها فأن نفرا قليلا منهم قد غامرته الشكوك في سكون الأرض و اشاروا الى احتمال تعرضها لدورة يومية حول مركزها من امثال عمر الكاتبي وابي الفرج الشامي . لاريب ان اهتمام العرب بعلم الفلك يرجع الى امرين هما حاجتهم الى المطر وافتقارهم الى علامات هادية أثناء سيرهم في الليل فمما لا ريب فيه أن المطر كان يمثل قوام حياتهم الرعوية ، فكانوا يحاولون التعرف على مواسمه فضلا عن التعرف على الظواهر الجوية الأخرى . واستدلوا على ذلك بطلوع بعض النجوم وبحركات الكواكب في السماء مما ادى الى ظهور ما سمي ( بعلم الانواء ) الذي اهتموا به اهتماما شديدا في عصر ما قبل الاسلام غير .

ان التطور الحقيقي قد دخل على هذا العلم في اواخر عهد أبي جعفر المنصور حينما بدا اتصاله بالفكر الأجنبي . وقد حقق تقدما عظيما في مفاهيمه ومناهجه في عهد الرشيد والمأمون نتيجة للتشجيع المفرط الذي لاقاه هذا العلم واصبح علماء الفلك من المستشارين البارزين للخلفاء من لقد اخذ الفكر اليوناني يسيطر على علم الفلك العربي منذ بداية القرن التاسع الميلادي ، الا ان الفلكيين العرب ما لبثوا أن تخلصوا من تقليد اليوناني و غيره في ارائهم وجداولهم الفلكية ، وبدأوا يعتمدون على مراصدهم وملاحظاتهم الشخصية في تثبيت الجدول الفلكية . وتتمثل اهم انجازاتهم النظرية في هذا العلم في الجدول الفلكية ( الازياج ) العديدة التي وضعوها والتي امتاز عدد منها بدقة عظيمة . وكانت للازياج اهمية مزدوجة ففضلا عن انها تعطينا اطوال ، وعروض المواضيع الجغرافية موزعة على الاقاليم السبعة ، فانها تحدد لنا تحركات الكواكب والنجوم في ومختلف ايام السنة ومواقعها في السماء ، ومن اشهر الازياج زيغ الخوارزمي ) و ( زيغ البتاني ) و ( الزيغ المأموني الممتحن ) و غيرها ولم يطور الفلكيون العرب الجوانب النظرية في علم الفلك فحسب بل طوروا الجوانب العملية ايضا . وتتمثل تلك الجوانب في انشاء المرصد وفي تحسين الات الرصد فقد شجع الخلفاء المسلمون منذ عهد المأمون انشاء المرصد فتناثرت في انحاء العالم الإسلامي مرصد ضخمة كانت

تقوم بارصاد دقيقة . ولم يكن الخلفاء وحدهم الذين ينفقون على تلك المراصد ، بل كان يتولى الإنفاق عليها في بعض الأحيان الأغنياء والعلماء انفسهم . ولعل من اشهر المراصد المرصد الذي انشاء المامون في الشامسية وكذلك انشا المأمون مرصد آخر في دمشق ، وكلا انشا الفاطميون مرصد فوق جبل المقطم عرف باسم " المرصد الحاكمي " ، ولعل من اشهر المراصد ايضا " المرصدان اللذان انشا في شرقي آسيا برعاية أمراء المغول ، وهما " مرصد مراغة " و " مرصد سمرقند " . ولقد رافق انشاء المراصد تحسين الات الرصد المعروفة والتي ورثت عن اليونانيين والهند وغيرهم ، كما تم اختراع الات جديدة ، فمن الألات التي ادخل عليها الفلكيون العرب التحسينات مثل الاضطراب وهي آلة تستخدم في الملاحة ولقياس مسائل تعد بالمئات الرياضيات والفلك ، بالاضافة الى انها تقوم باستخراج الظل والظل تمام والجيب والجيب تلم وغيرها .

## الجغرافية الإقليمية :

نتيجة للتوسع الذي طرأ على الفتوحات العربية الإسلامية فقد اتسعت المعرفة الجغرافية

بالنسبة للبلاد المجاورة لشبه الجزيرة العربية وازداد هذا التوسع حتى اصل اقصاه في القرن الثاني الهجري السابع الميلادي ( عندما امتدت دولتهم من الهند شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا " . وكان الفكر الجغرافي قد اكد على دراسة الاقاليم لضرورات ادارية واقتصادية فقد تطلبت إدارة الدولة معرفة الظروف الطبيعية والبشرية لكل منطقة من المناطق الرئيسية التي تتكون منها الدولة . ولقد سار العرب على التقسيم السباعي حيث يقوم هذا التقسيم على الاساس المناخي تقسيم الأرض إلى سبعة احزمة مناخية مستطيلة افقية تبدأ من خط الاستواء ومرتبة من الجنوب الى الشمال بموازاة خط الاستواء ومن الشرق إلى الغرب . و عندما وصل هذا التقسيم الى عصر الادريسي جعله من الغرب الى الشرق

وهذا التقسيم اتبعه الخوارزمي لأول مرة ثم سهراب و البيروني ، بينما يمثل الاصطخري الطليعة الأولى في المدرسة الكلاسيكية للجغرافية الإقليمية ، فقد قسم العالم الإسلامي الى عشرين اقليما مخالفا بذلك التقسيم السباعي ، وقد تكلم الاصطخري عن كل اقليم من هذه الأقاليم فشمّل بكلامه الحدود والمدن والمسافات وطرق المواصلات ، والحاصلات و التجارة والصناعة والأجناس ، بالإضافة الى ابن حوقل والمقدسي . وفي عصر الادريسي ومن عاصروه فقد اخذت الفكرة الإقليمية تعود الى تقسيم يم السباعي الذي سبق عصر المدرسة الكلاسيكية الاسلامية . ومن الممكن أن تحدد التقسيمات الإقليمية للمدرسة الكلاسيكية الاسلامية بكونها خاصة بالعالم الإسلامي في ذلك الوقت في حين كانت تقسيمات الإدريسي وما تلاها تقسيمات عالمية أكثر من كونها اسلامية . ولقد حاول القزويني في كتابه ( آثار البلاد و اخبار العباد أن يتبع التقسيم السائد مقتفيا " اثر الادريسي ولكنه اكتفى بتحديد بداية ونهاية الأقاليم مع ذكر البلدان والمدن ، ثم شرح اهم المواضيع في كل اقليم من انهار وجبال ومن الذين اهتموا بالدراسات الإقليمية ابن سعيد الذي وضع كتّله تحت عنوان ( جغرافيا في الأقاليم السبعة ) حيث يعتمد في كتابه اعتمادا كبيرا في مادتها الأساسية من حيث تبويب الأقاليم السبعة وتقسيم كل اقليم الي والذي عشرة اقسام ، وبهذا يكون بن سعيد قد خرج إلى الاطار الذي سار عليه بطليموس يقوم على الاساس الفلكي ، كما أنه أضاف إلى ما جاء به الادريسي . تحديد خطوط الطول ودوائر العرض الجميع المواضيع التي اشار اليها ومن الأمور التي تنتسب الى ابن سعيد في مجاله الاقليمي الدراسات التي تناولت معظم الأقاليم الأوربية وخاصة اوربا الغربية وبحر البلطيق

## الجغرافية الطبيعية :

احتوت المؤلفات الجغرافية العربية على الكثير من اسس الجغرافية الطبيعية وان اهتمامها بالجوانب الوصفية لم يبعدها عن ذكر الجوانب الطبيعية والتي جاءت ضمن الجغرافية الوصفية او الجغرافية العامة ، فاذا رجعنا إلى ما كتبه المسعودي واخوان الصفا والقزويني وحللنا ما جاءت

به كتبهم نجله فيها اسس " طبيعية متكاملة فقد تناولوا دراسة الأحوال المناخية ودراسة العوامل المؤثرة فيها و اشاروا بوضوح الى العوامل المؤثرة في اختلاف درجات الحرارة وكذلك فسروا ظواهر التساقط المختلفه تفسيراً صحيحاً " . أفي كتاب المسعودي ، ( اخبار الزمن ) ورد ذكر لدورات التعرية الجوية كما لم بحث التبخر والتكاثف والجفاف وشرح للحياة الحيوانية في البحار ، و اشار الى مساحة تلك البحار والصالها ببعضها ، ملوحتها . وفي كتابه ( مروج الذهب ) اشار الى استدارة الأرض ، واما ما جاء عن الرياح فيعد طفرة في علم المناخ ، فقد حدد اتجاهات الرياح و هبوب الرياح الموسمية ، وقد ربط بين مواعيد هبوب الرياح وحركة السفن . كما شرح اثر العوامل في مناخ الأقاليم ، وقد اشار المسعودي في كتابه ( التنبيه والاشراف ) الى اثر التضاريس الأرضية كالجبال ومسطحات المائية على طبيعة المناخ كما اوضح اثر التربة على طبيعة المناخ . لقد اضاف اخوان الصفا اراء طريفة في مجال الجغرافية الطبيعية المتمثلة بحرارة الغلاف الجوي وفسروا عملية التساقط . أما القلقشندي من المفكرين الجغرافيين الذين عاشوا في القرن الثامن الهجري ، فقد اضاف الى الجغرافية الطبيعية الشيء الكثير حيث اشار الى كروية الأرض والى خط الاستواء وتنصيفه الأرض كما اشار الي مسبب حدوث الرياح وانواعها والى السحاب ووصف الرعد والبرق لم يترك القلقشندي ظاهرة من ظواهر التساقط الا و اشار اليها . ويمكن أن نستنتج أن الفكر الجغرافي العربي عامة يمتار بتوجهاته الطبيعية في جميع المجالات التي تتناولها الجغرافية الطبيعية ، سواء كان ذلك في مجال المناخ او الجيومورفولوجي او الجوانب المرتبطة بالارض .

### الجغرافية البشرية :

تشمل الجغرافية البشرية دراسة جميع الظواهر التي يبرز فيها دور الانسان في التسبب والنتيجة وقد كانت الجغرافية البشرية جزءا من مفهوم الجغرافية العامة ، والذي كان يؤكد على دراسة وصف الأرض وما عليها من ظواهر طبيعية كانت ام بشرية ، فقد اهتم الفكر الجغرافي العربي

اهتمام خاص بوصف الطرق التجارية و المدن والأسواق حيث عنوانوا  
بعض

مولفاتهم الجغرافية تحت اسماء المسالك والممالك . وعليه يمكن القول أن مفهوم الجغرافية البشرية بفرعها الاقتصادي والاجتماعي تناوله المؤلفون العرب والمسلمون ضمن الجغرافية الوصفية . فاذا اخذنا الجغرافية البشرية بفروعها المختلفة والمتمثلة في جغرافية السكان والجغرافية التاريخية والجغرافية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، نجد أن المؤلفات العربية تناولت هذه الفروع مفصلة ولكن ضمن الجغرافية الوصفية . ومن أوائل الجغرافيين العرب الذين بحثوا في الجغرافية البشرية اليعقوبي فقد تناول بدراسته الأجناس التي سكنت المدن وكونت حياتها الاجتماعية فيها وأشار الى الأجناس التي استوطنت بغداد وسامراء والمدن الأخرى وفي مجال جغرافية المدن ذكر اليعقوبي المدن التي انشئت قبل الاسلام والمدن التي انشئت في العصر الإسلامي . وقد حدد العوامل التي ساعدت على قيام المدن وذكر منها الموارد المائية والأرض الصالحة للسكن وطرق المواصلات . اما في مجال الجغرافية الاقتصادية اولى اليعقوبي اهتماما بالغا لامكانيات البلدان الاقتصادية سواء كانت زراعية ام معدنية ، ووضح الطرق التي عن طريقها كانت تنقل الموارد الاقتصادية ومثال ذلك ذكره طريق الحرير . كما أن ابن خردادبه في كتابه ( المسالك والممالك ) اشار الى أهم الطرق الموجودة في العالم في ذلك الوقت وهو الطريق الذي يمتد من العراق الى ايران والذي يصل الى الصين وأشار الى الانتاج الزراعي والى المدن وتاريخها وحالة السكان الذين يعيشون فيها ، وأشار الى الثروة المائية والثروة الحيوانية . اما ابن حوقل فقد اشار الى تأثير المناخ على البشرية وعلى طبيعة السكان وسلوكهم . ولا يمكن تناسي ابن خلدون الذي يعد من اهم العلماء العرب الذين بحثوا في مجال اثر البيئة الطبيعية في السكان ونشاطاتهم والوان بشرتهم حتى توصل الى اثر المناخ على انفعانت واحاسيس الانسان . 6  
والمتتبع لدراسة الفكر الجغرافي العربي تبرز امامه حالة لا ينفرد بها الفكر الجغرافي العربي ، بل كانت صفة عامة للفكر الجغرافي العالمي واعني بها نقص الدراسات السكنية وخاصة ما يرتبط منها بالدراسات

الديموغرافية ، ويعود سبب ذلك إلى الظروف الدينية التي كانت تسود العالم آنذاك فأكثر الأديان السماوية عارضت التعدادات السكانية المرتبطة بتعداد المواليد والوفيات وما إلى ذلك وعلوا ذلك أمرا " لا يرتبط بالدراسات الوصفية الأمر الذي ساعد على تاخير ظهور الدراسات السكانية . ويمكن أن تعد بداية القرن السابع عشر الميلادي ، البداية الحقيقية للدراسات السكانية الأمن الصلي ، أن تعود الى قبل ذلك للبحث عن طبيعة الدراسات المرتبطة بالدراسات السكانية